طاهر المقدسي يقول : سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني بنيسابور : يقول ـ وكان يختلف إلى دروس الاستاذ ابي المعالي الجويني ، يقرأ عليه الكلام يقـــول ـ : سمعت الاستاذ أبا المعالي اليوم يقول : ياأصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى مابلغ ، مااشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي الذي أجـــاز لكريمة : حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال : دخلنا على الامـام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته ، فقعد ،فقال لنا : اشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قـال السلف الصالح ، وإني أموت على ماتموت عليه عجائز نيسابور . قال أبو منصور بن الوليد الحافظ في رسالة له إلى الزنجاني : أنبأ عبد القادر الحافظ بحران ، أنبأ الحافظ أبو العلاء ، أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قـــوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ فقال : كان الله ولا عرش ؛ وجعل يتخبط في الـكلام ، فقلت : قد علمنا ماأشرت اليه ، فهل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال ماتريد بهذا القول ؛ وما تعني بهذه الإشارة ؟ فقلت : ماقال عارف قط : ياراه ؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لايلتفت يمنة ولايسرة ، يقصد الفوق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ، وبكيت وبكى الخلق ، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح بالحيرة ، وخرق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل ولم يجبني إلا : ياحبيبي الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون :

سمعناه يقول : حيرني الهمذاني . توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الاصول والفروع ، يتوقد ذكاء ، لكن قول الناظم يرحمه الله تعالى عن إمام الحرمين في حكاية مذهبه :ويدل أن إلهنا سبحانه وبحمده يلقى بكل مكان ؛فيه نظر ،فان القول بان الله تعالى في كل مكان هو قول النجارية . وأما الاشاعرة ، فقولهم : إن الله تعالى لاداخل العالم ولاخارجه ، ولافوقه ولاتحته ، ولايوصف بأن له مكاناً ؛ فضلًا عن أن يقال : إنه بكل مكان ؛ كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في أول الأبيات .ولهذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التسعينية قال : لما نوظر ابن فورك قدام محمود بن سبكتكين أمير المشرق ؛ فقيل له : لووصف المعدوم لم يوصف الابما وصفت به الرب ، من كونه لاداخل العالم ولاخارجه ، كتب الى أبي اسحاق الاسفرايني في ذلك ولم يكن جوابهم إلا أنه لو كان خارج العالم ، لزم أن يكون جسماً .انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل
في قدوم ركب آخر

واتى فريق ثم قارب وصفه هذا وزاد عليه في الميزان

قال اسمعوا ياقوم لا تلهيكم هذي الأماني هن شر أماني

أتعبت راحلتي وكلت مهجتي ... وبذلت مجهودي وقد أعياني

فتشت فوق وتحت ثم أمامنا ... ووراء ثم يسار مع أيمان

ما دلني أحد عليه هناكم ... كلا ولا بشر إليه هداني

الا طوائف بالحديث تمسكت ... تعزى مذاهبها الى القرآن

قالوا الذي نبغيه فوق عباده ... فوق السماء وفوق كل مكان

وهو الذي حقاً على العرش استوى ... لكنه استولى على الأكوان

واليه يصعد كل قول طيب ... واليه يرفع سعي ذي الشكران

والروح والأملاك منه تنزلت ... واليه تعرج عند كل أوان

واليه أيدي السائلين توجهت ... نحو العلو بفطرة الرحمن

واليه قد عرج الرسول فقدرت ... من قربه من ربه قوسان

واليه قد رفع المسيح حقيقة ... ولسوف ينزل كي يرى بعيان

واليه تصعد روح كل مصدق ... عند الممات فتنثني بأمان

واليه آمال العباد توجهت ... نحو العلو بلا تواص ثان

بل فطرة الله التي لم يفطروا ... الا عليها الخلق والثقلان

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى ان هذا الركب أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ؛ من العقائد التي تضمنها

هذا الفصل ؛ وذكر نصوص الفوقية ، والعلو ، والاستواء ، والصعود ، كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (ثم استوى الى السماء) فصلت : ١١ وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر : ٤،٥ وذكر معراج الرسول ﷺ إلى الله الذي تواترت به الأحاديث ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . عن أنس ان مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال : «بينا أنا في الحطيم ـ وربما قال قتادة في الحجر ـ مضطجعاً[1] إذ أتاني آت » فذكر الحديث ، وفيه قال « ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند أقصى[2] طرفه ، قال : فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت ، إذا فيها آدم . قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم صعد حتى أتى

---

(١) في الاصل : مضجع ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري »

(٢) في الاصل : عند انقضى ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم » « منتهى طرفه » .

السماء الثانية ، فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قـال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم. قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء. قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا يحي وعيسى وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحي وعيسى ، فسلم عليهما ؛ فسلمت ، فردا السلام ، وقالا : مرحباً بالاخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا ادريس قال : هذا ادريس ؛ فسلم عليه ؛ فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح : قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ، قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت فاذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت فرد السلام ؛ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ؛ والنبي الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى . فقيل : مايبكيك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال : هذا ابراهيم ، فسلم عليه ؛ قال : فسلمت ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال : ثم رفعت الى سدرة المنتهى ، ثم رفع لي البيت المعمور . قال : ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم ؛ فرجعت ؛ فمررت على موسى . فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن امتك لا تستطيع خمسين صلاة ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت ؛ فوضع عني عشراً ؛ فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : بأربعين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت الى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى . فقال بم أمرت ؟

---

(١) في صحيح البخاري جربت ، حيث وردت ، وفي « صحيح مسلم » فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم.

قلت : بعشرين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشرين صلاة كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بعشر صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشر صلوات كل يوم . وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة . قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم . فلما نفذت ، نادى مناد : قد أنفذت فريضتي ، وخففت عن عبادي » متفق عليه . قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» نقلًا عن القاضي عياض : الحق الذي عليه أكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، أنه أسرى بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولايعدل عن ظاهرها إلا بدليل ، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل . انتهى .

قوله : فقدرت من قربه من ربه قوسان . يشير إلى قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨،٩ وهذا على أحد

التفسيرين في الآية ، وأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى[1] وسيأتي بسط الكلام على ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه . والله اعلم . وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه : (بل رفعه الله اليه) النساء :١٥٨ الاية .

وقوله : واليه تصعد روح كل مصدق الخ ... يعني أن روح المؤمن المصدق تصعد الى الله بعد الموت .وقد روى ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس

---

(١) الحق أن الضمير في قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) يعود عل جبريل عليه السلام ، لا على الله تعالى . وهو الذي يفهم من الآيات المتقدمة(ان هو إلا وحي يوحي. علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) لأن الوحى إنما هو بواسطة جبريل ، وكذلك ثبت في «الصحيحين » عن عائشة أم المؤمنين ، وابن مسعود ، وهو كذلك في « صحيح مسلم » عن ابي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بها. وما جاء في «صحيح البخاري من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك في حديث الاسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » فقد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية . وذكروا أشياء فيها من الغرابة وأن شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه . وقال الحافظ البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل ، يعني قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » قال : وقول عائشة وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح . وهذا الذي قاله الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى هو الحق . ومن شاء الزيادة على ذلك فليرجع الى «تفسير ابن كثير» في أول سورة (الاسراء) وعند قوله تعالى ثم دنا فتدلى من سورة (النجم) .

الطيبـــة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقـــال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة. فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى . وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

وقوله : فتنثني بأمان . يشير إلى مافي حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطـــير ، فأزم قليلاً ـ والازمام : السكوت ـ فلما رفع رأسه قال : « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا ، نزل عليه ملائكة من السماء ، معهم حنوط من الجنة ، وكفن من الجنة ، فيجلسون منه مد بصره ، وجاءه ملك الموت ، فجلس عند رأسه ، ثم يقول : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه ، فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء ، فاذا خرجت نفسه ،صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، إلا الثقلين . ثم يصعد به الى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية ،والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، الى العرش مقربو كل سماء ، فاذا انتهى إلى العرش ، كتب كتابه في عليين ، فيقول الرب عز وجل : ردوا عبدي إلى مضجعه ، فاني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة اخرى ، فـــيرد إلى مضجعه وذكر الحديث[1] .

قوله : واليه آمال العباد توجهت الخ... عن سلمان الفارسي قال : قال

(١) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ : إن ربكم حيي كريم . يستحي من عبده إذا رفع يديه اليه يدعو أن يردهما صفراً ليس فيها شيء »[1] هذا حديث مشهور .

قال النّاظم رحمه الله تعالى :

ونظير هـذا أنهم فطروا على ... إقرارهم لا شـك بالديان

لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان

فسألت عنهم رفقتي وأحبتي ... أصحاب جهم حزب جنكسخان

من هؤلاء ومن يقال لهم فقد ... جاؤوا بأمر مـا لىء الآذان

ولهم علينا صولة ماصالهـا ... ذو باطل بل صاحب البرهـان

أو ما سمعتم قولهم وكلامهم ... مثل الصواغر ليس ذا لجبان

جاؤوكم من فوقكم وأتيتم ... من تحتهم مـا أنتم نسيان

جاؤوكم بالوحي لكن جئتمُ ... بنحاتة الافكار والاذهـان

قال في « القاموس » نحتـه ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه والنحاتة بالضم : البراية .

قالوا مشبهة مجسمة فـلا ... تسمع مقال مجسم حيوان

والعنهم لعناً كبيراً واغزهم ... بعساكر التعطيل غير جبان

---

(١) رواه احمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : حسن غريب ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : سنده جيد .

واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم ... أولا فشردهم عن الأوطان

حذر صحابك منهم فهم أضل ... من اليهود وعابدي الصلبان

واحذر تجادلهم بقال الله أو ... قال الرسول فتنثني بهوان

أنى وهم أولى به قد أنفذوا ... فيه قوى الأذهان والأبدان

فاذا ابتليت بهم فغالطهم على الـ ... ـتـ أويل للأخبار والقرآن

وكذاك غالطهم على التكذيب لا ... آحاد ذا ولصحبنا أصلان

أوصى به أشياخنا أشياخهم ... فاحفظهما بيديك والأسنان

واذا اجتمعت وهم بمشهد مجلس ... فابدر بايراد وشغل زمان

لا يملكوه عليك بالآثار والـ ... ـأخبار والتفسير للفرقان

فتصير إن وافقت مثلهم وان ... عارضت زنديقاً أخا كفران

واذا سكت يقال هذا جاهل ... فابدر ولو بالفشر والهذيان

الفشار الذي تستعمله العامة ، بمعنى الهذيان ، ليس من كلام العرب ، قاله في « القاموس » .

هذا الذي أوصى به أشياخنا ... في سالف الاوقات والازمان

فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ... ومطيتي قد آذنت بحران

قال في « القاموس » : حرنت الدابة كنصر وكرم ، حرانا

بالكسر والضم ، فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت ، خاص بذوات الحافر .

عطل ركابك واسترح من سيرها ما ثم شيء غير ذي الاكوان
لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان
او كان رب بائن عن ذي الورى كان المجسم صاحب الايمان
ولكان عند الناس أولى الخلق بالإسلام والإيمان والإحسان
ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنان

أي لو كانت هذه الأقوال حقاً وهي اعتقاد المجسمة بزعمهم ، لكانوا عند الله أولى بالاسلام والايمان والاحسان ، ولكان هذا الحزب فوق رؤوس الناس ، ولأجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان .

فدع التكاليف التي حملتها واخلع عذارك وارم بالارسان

خلع العذار كناية .

ما ثم فوق العرش من رب ولم يتكلم الرحمن بالقرآن
لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان

أي لو نقول بأن الله فوق العرش ، لزم أن يكون متحيزاً يكون له مكان .

لو كان ذا القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً كان ذا جثمان
فاذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نفوا علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هـذا القرآن عين كلام الرب سبحانه ، فكيف بقاء الايمان مع ذلك ؟!

فدع الحلال مع الحرام لأهله فهما السـياج لهم على البستان
فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه قد هيئت لك سائر الالوان
وترى بها مـا لا يراه محجب من كل ما تهوى به زوجـان

قال في « القاموس » : سياج ككتاب الحائط ، ومـا أحيط به على شيء ، مثل النخل والكرم ، وقد سيج حائطه تسييجاً .

واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الورى من سالف الازمان
لتصير حراً لست تحت أوامر كلا ولا نهي ولا فرقان
لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى فوق السما للنـاس من ديان
لو قلت مـا فوق السماء مدبر والعرش تخليـه من الرحمن
والله ليس مكلما لعباده كلا ولا متكلما بقران
ما قـال قط ولا يقول ولاله قول بدا منه الى إنسـان
لحللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس في هذيان

قوله : منه بدا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمـه الله تعالى في « شرح عقيدة الاصفهاني » : قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه تعالى غير مخلوق ، وانكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم . إن كلامه تعالى مخلوق ، خلقه

في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق ؛ منه بدأ واليه يعود . قال : ومعنى قولهم : منه بدأ . أي : هو المتكلم به ، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات ؛ وأنه سبحانه لم يقم به كلام . قال : ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف ؛ بل صفة المخلوق لاتفارقه ، وتنتقل الى غيره ؛ فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره ؟ ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام الله ليس ببائن منه . قال شيخ الاسلام : ومعنى قول السلف : واليه يعود ، ماجاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لايبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية . وماجاءت به الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين ، كالحديث الذي رواه الامام احمد في « المسند » وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي ﷺ أنه قال : « ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه » يعني القرآن . وفي لفظ « أحب اليه مما خرج منه » وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة : إن هذا كلام لم يخرج من إل . أي : من رب . وقول ابن عباس رضى الله عنهما لما سمع قائلًا يقول لميت لما وضع في لحده : اللهم رب القرآن ، اغفر له . فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال : مه ، القرآن كلام الله ، ليس بمربوب ، منه بدأ ، واليه يعود . وهذا الكلام معروف عن ابن عباس ، وقول السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، واليه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة .

قال شيخ الاسلام في « شرح الاصفهانية » : وهذه الروايات لايدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم ، وينتقل الى غيره ، وانما تدل على ان الله هو المتكلم بالقرآن ـ ومنه سمع ـ لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك الامام أحمد وغيره من الأئمة .

قال ابوبكر الخلال : سئل الامام أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، وإليه يعود ، يعني ماقدمنا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زعمت بان ربك بائن ... من خلقه إذ قلت موجودان

وزعمت أن الله فوق العرش والـ ... ـكرسي حقاً فوقه القدمان

وزعمت أن الله يسمع خلقه ... ويراهم من فوق ست ثمان

وزعمت أن كلامه منه بـدا ... وإليه يرجع آخر الأزمـان

ووصفته بارادة وبقـدرة ... وكراهة ومحبـة وحنان

ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لاينبغي إلا لذي الجثمان

وزعمت أن الله يعلم كل مـا ... في الكون من سر ومن إعلان

والعلم وصف زائد عن ذاته ... عرض[1] يقوم بغير ذي جثمان

وزعمت أن الله كلم عبـده ... موسى فأسمعه نـدا الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الأذنان

وكذا النداء فانه صوت باجـ ... ـماع النحاة و اهل كل لسـان

لكنه صوت رفيع وهو ضـد للنجاء كلاهما صوتان

---

[1] في الاصل عرضاً .

فزعمت ان الله ناداه ونا جاه وفي ذا الزعم محذوران

قرب المكان وبعده والصوت بل نوعاه محذوران ممتنعان

قوله : ويراهم من فوق ست ثمان . أي : السموات السبع ، والارضين السبع .

قوله : والعلم وصف زائد عن ذاته . لاخصوصية للعلم عن سائر الصفات ، فان مراد أهل الاثبات بقولهم : نحن نقول باثبات صفات لله زائدة على ذاته ، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات ، فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات ، فقال أهل الاثبات : نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء . وأما الذات نفسها الموجودة ، فتلك لايتصور أن تتحقق بلا صفة أصلًا ، بل هذا بمنزلة من قال : اثبت انساناً ، لا حيواناً ، ولا ناطقاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ، ولا حياة ، ولا حركة ، ولا سكون ، ونحو ذلك ، أو قال : أثبت نخلة ليس ، لها ساق . ولاجذع ، ولاليف ، ولاغير ذلك ، فان هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج ، ولا يعقل ، ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات ، معطلة ، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله ، وان كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل . والله أعلم . وهذا الركب الرابع الذي ذكر الناظم قولهم ، هم فيما يظهر ، الفخر الرازي ، والأسدي ، والشهرستاني والأثير الأبهري ، ونحوهم ممن خلط الكلام بالفلسفة ، فان لهم كلاماً يشبه ماذكره الناظم ، خصوصاً الفخر الرازي ، فانه قال في كتاب أقسام اللذات لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم ، وأنه ثلاث مقامات : العلم بالذات ، والصفات ، والأفعال . وعلى كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة ، هل

الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة، هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ و علم الأفعال عليه عقدة، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ، ثم قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ، ثم أنشد :

نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) الشورى: ١١ (ولا يحيطون به علماً) طه : ١١٠ (هل تعلم له سميا) مريم : ٧ ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : وكذاك غالطهم على التكذيب للآحاد الخ.. يشير الى ان المخالفين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله أصلين : أحدهما التأويل للآيات والاحاديث . والثاني : دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد ، وهي لا تفيد العلم واليقين . وللامام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك كتاب « ابطال التأويل » مجلد ، وكذلك للشيخ الامام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب « ذم التأويل » في جزء لطيف ، فارجع اليهما إن شئت .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كلام له : ولهـــذا اعترض عبد الجبار ، وابن خطيب الري على الحديث ، وجعلوه من الآحـــاد ، لما رأوا احاديث تخالف العقل ، وهي في الأصل موضوعة . انتهى .

وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحـاد ، وأنها تفيد العـلم ، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب « الصواعق »[1].

الأول : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت الى الكعبة ، قبلوا خبره ؛ وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا الى القبلة ؛ ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ، بل شكروا على ذلك ، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الاولى ؛ فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لايفيد العلم . وغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول : لا يفيد العـلم بقرينة . ولاغيرها ، وهذا في غاية المكابرة . ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير نكير من اقوى القرائن وأظهرها ، فأي قرينة فرضتها ؛ كانت تلك أقوى منها .

الثاني قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسـق بنبأ فتبينوا) الحجرات : ٦ وفي القراءة الاخرى (فتثبتوا) وهـذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ؛ لأنه يحتاج الى التثبت ؛ ولو كان خبره لايفيد العلم ؛ لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . وأيضاً فالسلف الصالح وأئمة الاســـلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وفعل كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهـــذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي « صحيح البخاري » قال رسول الله ﷺ في عـــدة مواضع ؛ وكثير من آحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله ﷺ ؛ وإنما سمعه من صحابي غيره

---

(١) هو كتاب « الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه اليه من قول أو فعل . فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان شاهداً على رسول الله ﷺ بغير علم .

الثالث : أن أهل العلم بالحديث لم يزالوا يقولون : صح عن رسول الله ﷺ ، وذلك جزم منهم بأنه قاله .

الرابع : قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٢٢ والطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم ، فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم ، لكان ذلك الانذار أمراً بما لا فائدة فيه .

الخامس : قوله : (ولا تقف ماليس لك به علم) الاسراء : ٣٦ أي : لاتتبعه ، ولاتعمل به ،ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لاتفيد علماً ، لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم .

السادس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) النحل ٤٣ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر ، وهم أولو الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم ، لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علماً ، وهو سبحانه لم يقل : سلوا عدد التواتر ، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً فلو كان واحداً ، لكان سؤاله وجوابه كافياً .

السابع : قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال : (وما على الرسول

الا البلاغ المبين) المائدة : ٩٩ وقال النبي ﷺ : « بلغوا عني »[١] وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : « أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت »[٢] ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد ، فان الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم . وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال : إن أخبار رسول الله ﷺ لا تفيد العلم أحد أمرين : إما أن يقول : إن الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ، وإما أن يقول : إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي علماً ، وإذا بطل هذان الامران ، بطل القول بأن أخباره ﷺ التي رواها الثقات العدول الحفاظ ، وتلقتها الامة بالقبول ، لا تفيد علماً ، وهذا ظاهر لا خفاء به .

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فيتبوأ مقعده من النار ».

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت » . ورواه بلفظ « انتم مسؤولون عني » أبو داود والدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

الثامن : قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة : ١٤٣ وقوله (: وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الحج : ٧٨ وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولاً خياراً ، ليشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم عن الله رسالته ، وأدوا عليهم ذلك ، وهذا يتناول شهادتهم على الامم الماضية ، وشهادتهم على أهل عصرهم ومن بعدهم أن رسول الله ﷺ أمرهم بكذا ، ونهاهم عن كذا ، فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ ، وزعم أنه لم يأتهم من الله ماتقوم به عليه الحجة ، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل اليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة فلو كانت أحاديث رسول الله ﷺ لا تفيد (العلم)، لم يشهد به الشاهد، ولم تقم به الحجة على المشهود عليه .

التاسع : قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف : ٨٦ وهذه الاخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن رسول الله ﷺ ، إما أن تكون حقاً ، وإما أن تكون باطلاً أو مشكوكاً فيها ، ولا يدرى هل هي حق أو باطل ، فان كانت باطلاً أو مشكوكاً فيها ، وجب اطراحها وأن لا يلتفت اليها ، وهذا انسلاخ من من الاسلام بالكلية ، وان كانت حقاً ، فتجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ ، وكان الشاهد بذلك شاهداً بالحق وهو يعلم صحة المشهود به .

العاشر : قول النبي ﷺ « على مثلها فاشهد »[1] وأشار الى الشمس ،

---

(١) أخرجه ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : «ترى الشمس ؟» قال نعم . قال: «على مثلها فاشهد أو دع» وقال الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام من أدلة الأحكام» اخرجه ابن عدي باسناد ضعيف ، وصححه الحاكم فأخطأ.

ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على القطع أنه قال كذا وأمر به ، ونهى عنه ، وفعله ، لما بلغهم إياه الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، فيقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وحرم كذا ، وأباح كذا ، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به كالشمس في الوضوح ، ولاريب أن كل من له التفات الى سنة رسول الله ﷺ واعتناء بها ، يشهد شهادة جازمة أن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة ، وأن قوماً من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة ، وان الصراط حق ، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك ، وأن الولاء لمن أعتق ، الى غير أضعاف أضعاف ذلك ، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقي بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها .

الحادي عشر : أن هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم ، وأنهم قالوا وقيل لهم . (ولو قيل لهم)[1] : انها لم تصح عنهم ، لأنكروا ذلك غاية الانكار ، وتعجبوا من جهل قائله . ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم إلا الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، ونحوهم ، لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقيناً ، فكيف حصل لهم العلم الضروري ، أو المقارب للضروري ، بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتو بكذا ، وذهبوا إلى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ولا بما رواه عنهم التابعون ، وشاع في الأمة وذاع ، وتعددت طرقه ، وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم

---

(١) جملة « ولو قيل لهم » زيادة وجدت على هامش الاصل .

بكثير من حرص أولئك على اقوال متبوعهم ؟ ! إن هذا لهو العجب العجاب .

الثاني عشر : قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال : ٢٤ ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، ودعوته نوعان : مواجهة ، ونوع بواسطة المبلغ ، وهو مأمور باجابة الدعوتين في الحالتين وقد علم أن حياته في تلك الدعوة والاستجابة لها ، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالاجابة لما لا يفيد علماً ، أو يجيبه بما لا يفيد علماً ، أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً ، بأنه إن لم يفعل عاقبه ، وحال بينه وبين قلبه .

الثالث عشر : قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ الى يوم القيامة ، ولو كان مابلغه لم يفد علماً ، لما كان متعرضاً بمخالفة ما لا يفيد علماً للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الرابع عشر : قوله تعالى : (ياايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء : ٥٩ الى قوله : (واليوم الآخر) النساء : ٥٩ ووجه الاستدلال أنه أمر أن يرد ماتنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله ، والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته فلولا أن المردود اليه يفيد العلم وفصل النزاع ، لم يكن في الرد اليه فائدة ، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى مالا يفيد علماً البتة ، ولا يدرى أحق هو أم باطل ؟! وهذا برهان قاطع بحمد الله ، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله

ﷺ لا تفيد علماً : إنا نرد ما تنازعنا فيه إلى العقول، والآراء ، والأقيسة ، فانها تفيد العلم .

الخامس عشر[1] : ما احتج الشافعي رحمه الله تعالى ، فانه قال : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن ابيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه الى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص لله ، والنصيحة للمسلمين ؛ ولزوم جماعتهم ،

---

(١) إن كل ما تقدم من الأدلة على أن خبر الواحد العدل يفيد العلم ، إنما هو منقول عن كتاب « مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للعلامة ابن القيم ، وقد أسقط الشارح هنا الدليل الخامس عشر ، وانتقل الى السادس عشر فسماه : الخامس عشر ، فأحببنا إثبات الدليل الخامس عشر الذي أسقطه الشارح هنا: الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) المائدة : ٤٩ إلى قوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة : ٥٠ ووجه الاستدلال إن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما انزل الله ، وهو ذكر من الله انزل على رسوله ، وقد تكفل سبحانه بحفظه ، فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة ولم يقم دليل على غلط وسهو ناقله ، لسقط حكم ضمان الله وكفالته لحفظه ، وهذا من اعظم الباطل ، ونحن لا ندعي عصمة الرواة ، بل نقول : إن الراوي إذا كذب او غلط أو سها ، فلا بد ان يقوم دليل على ذلك ، ولا بد ان يكون في الأمة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحجه وأدلته ، ولا تلتبس بما ليس منها ، فانه من حكم الجاهلية ، بخلاف من زعم انه يجوز ان تكون كل هذه الاخبار والاحكام المنقولة إلينا آحاداً كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغايتها ان تكون كما قاله من لا علم عنده : « ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢ .

فان دعوتهم تحيط من ورائهم[١]

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله ﷺ الى استماع مقالتـــه وحفظها وأدائها ، أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدي اليه ، لأنه إنما يؤدي عنـه حلال يؤتى ، وحرام يتجنب ، وحد يقام ، ومـــال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا ، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه ، يكون له حافظاً ولايكون فيه فقيهاً ، وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ، مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم . انتهى .

والمقصود أن خبر الواحد العدل ، لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى اليه إلا من عدد التواتر الذي لايحصل العلم إلا بخبرهم ، ولم يدع للحامل المؤدي ، وان كان واحداً ، لأن ماحمله لا يفيد العلم ، فلم يفعل مايستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه الى أهل التواتر ، وهذا خلاف مااقتضاه الحديث .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب إلى ذلك ، وحث عليه ، وأمر به لتقوم به الحجة على من أدي اليه ، فلو لم يفد العلم ، لم يكن فيه حجة .

---

(١) اورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » في الترغيب في الاخـــلاص ، والترغيب في سماع الحديث وتبليغه ، مطولاً ومختصراً ، من رواية احمد ، وابي داود والترمذي ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، ومن رواية ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والبزار والطبراني في « الاوسط » و « والكبير » قال المنذري : وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود ، ومعـــاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وابي الدرداء ، وابي قرصافة جندرة بن خيشنة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واسانيد بعضهم صحاح .

السادس عشر . حديث أبي رافع الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري يقول : لا ندري ماهذا ؟ بيننا وبينكم القرآن ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه » ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه ، أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ، بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ ، أنها من الله أوحاها اليه ، فلو لم تفد علماً لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لاتفيد علماً ، فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ، ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ، ونهاهم عنه . ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله ، حذرهم منه ، فان القائل : إن أخباره لاتفيد العلم ، هكذا يقول ، سواء ، ما ندري ماهذه الأحاديث ، وكان سلف هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخلفهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك وقالوا : نقدم العقول على هذه الاحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسة عليها .

السابع عشر : ما رواه مالك عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح ، وأبا طلحة الانصاري ، وأبي بن كعب شراباً من فضيخ ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة : قم يا أنس الى هذه الجرار فاكسرها ، فقمت الى مهراس لنا فضربتها بأسفله ، حتى كسرتها .

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول[1] خبر التحريم حيث ثبت به التحريم لما كان حلالاً وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شفاها ،

---

(١) في الاصل قبوم ، وهو خطأ .

وأكد ذلك القبول باتلاف الإناء وما فيه ، وهو مال ، وما كان ليقدم على اتلاف المال بخبرمن لا يفيد خبره العلم ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ ، بحيث لم يشكوا ، ولم يرتابوا في صدقه ، والمتكلفون يقولون : إن مثل ذلك الخبر لايفيد العلم ، لا بقرينة ، ولابغير قرينة .

الثامن عشر : أن خبر الواحد لو لم يفد العلم ، لم يثبت به الصحابة التحليل ، والتحريم ، والاباحة ، والفروض ، ويجعل ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر ، فهذا الصديق رضي الله عنه زاد في الفروض التي في القرآن ، فرض الجدة ، وجعله شريعة مستمرة الى يوم القيامه بخبر محمد ابن مسلمة ، والمغيرة بن شعبة فقط ، وجعل حكم ذلك الخبر في اثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في اثبات فرض الأم ، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ، وأثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبر حمل بن مالك دية الجنين ، وجعلها فرضاً لازماً للأمة ، وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي وحده ، وصار ذلك شرعاً مستمراً الى يوم القيامة ، وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريعة بنت مالك وحدها ، وهذا اكثر من أن يذكر ، بل هو إجماع معلوم منهم . ولايقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات ، ونحن لا ننكر ذلك ، لأنا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ، ولو جاز أن يكون كذباً أو غلطاً في نفس الأمر ، لكانت الامة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به ، وهذا قدح في الدين والأمة .

التاسع عشر : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر

الواحد ، ويقطعون بمضمونه ، فقبله موسى من الذي جاء من اقصى المدينة قائلاً له : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) القصص ٢٠ فجزم بخبره ، وخرج هارباً من المدينة ، وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت (ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) القصص : ٢٥ وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي ، وتزوجها بخبره ، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك ، وقال له : (ارجع الى ربك فاسأل مابال النسوة) يوسف : ٥٠ وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له ، وغزاهم بخبرهم ، واستباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذراريهم ، ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها ، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً ، وكذلك الامة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن تكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به ، بل يجوز أن يكون كذباً وخطأ في نفس الأمر ، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر .

العشرون : أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول ، لو لم يفد العلم ، لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن ، لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطابهم ، فيقولون : شرع الله كذا و كذا على لسان رسوله ﷺ ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق تلك الأخبار ، جازمين بها ، لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولاً[1] على الله ورسوله بغير علم . لعمر الله هذا حقيقة قولهم ، وهم أولى بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها .

---

(١) في الاصل : والقول .

قـــال أبو عمرو ابن الصلاح وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته : وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد الاالظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول ، لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطىء؛ قال : وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي المذهب الذي اخترناه هو الصحيح ، لأن ظن من هو معصوم من الخطـــأ لا يخطىء ، والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ، ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ، وهـذه نكتة نفيسة نافعة . انتهى .

ونقل الناظم أيضاً قال : قال شيخ الاسلام ابن تيميه وقـــد قسم الأخبار الى تواتر وآحاد ، فقال بعد ذكر التواتر : وأما القسم الثاني من الأخبار ، فهو ما لا يرويه الا الواحـد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظـه ولا معناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به ، أو تصديقاً له ، كخبر عمر بن الخطاب . « إنما الأعمـــال بالنيات »[١] وخبر ابن عمر « نهى عن بيع الولاء وهبته »[٢] وخبر أنس « دخل مكة وعلى رأسـه المغفر » وكخبر أبي هريره « لا تنكح المرأة على عمتها ،ولا على خالتها »[٣] وكقوله : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب »[٤] (وقوله : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها ، فقد وجب الغسل »[٥] وقوله في المطلقة ثلاثاً :

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه

(٤) رواه مسلم في « صحيحه »عن عائشة بهذا اللفظ. وورد بلفظ آخر في« الصحيحين »عن عائشة « ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » .

(٥) متفق عليه من حديث ابي هريرة .

« حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك »[١] وقوله : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ »[٢] وقوله : « إنما الولاء لن أعتق »[٣] وقوله ، يعني ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان ، على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى .[٤] وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين .

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعه ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، مثل السرخسي ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي الطيب ، والشيخ ابي اسحاق من الشافعية ، وابن خويز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي أبي يعلى ، وابن ابي موسى ، وابي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ، ومثل اسحق الاسفرايني ، وابن فورك ، وأبي اسحاق النظام من المتكلمين ؛ وانما نازع في ذلك طائفة ، كابن الباقلاني ومن تبعه ، مثل أبي المعالي ، والغزالي ، وابن عقيل ، وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول ، وصححه ، واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كنت عند رفاعة فطلقني ، فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وإنما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : « أتريدين ان ترجعي الى رفاعة ، لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ؟! »

(٢) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه بمعناه ، وهو ملفق من حديثين .

القائلين به ليتقوى بهم، وانما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة ، أن هـذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو ، انفرد به عن الجمهور ، وعـذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل الى ما يجدونه من كلام ابن الحـاجب ، وإن ارتقوا درجة ، صعدوا إلى السيف الآمدي ، والى ابن الخطيب ، فان علا سندهم صعدوا الى الغزالي ، والجويني ، والباقلاني . قال : وجميع أهـل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو ، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً وعملاً اجماع منهم ، والأمـة لا تجتمع على ضلالة ، كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق ، او اسم حقيقة ، أو على موجب قياس ، فانها لا تجتمع على خطأ ، وان كان الواحـد منهم لوجرد النظر اليه لم يؤمن عليه الخطأ ، فان العصمة ثبتت بالسنة الاجماعية ، كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده ، ولا يجوز على المجموع ، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها ، كما قال النبي ﷺ : «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر »[1] فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها ، والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنونا بشروطها ، فاذا قويت صـارت علوماً ، واذا ضعفت صارت أوهاماً وخيالات فاسدة ، قال : وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره ، اذ هو خلاف ما وصفهم الله تعالى به. فان قيل . أما الجزم بصدقـــه ، فلا يمكن منهم ، وأما العمل به ، فهو الواجب عليهم ، وان لم يكن صحيحاً

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، بلفظ « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر ».
ورواه البخاري ايضاً بلفظ «أرى رؤياكم في العشر الاواخر ، فاطلبوها في الوتر منها » .

في الباطن ، وهذا سؤال ابن الباقلاني . قلنا : وأما الجزم بصدقه ، فانه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم ، إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها ، فكيف اذا احتفت بالخبر ، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي ، أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل الا من جهة العدد ، فلزمه أن يقول ما دون العدد لا يفيد أصلاً ، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه ، وأما العمل به ، فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً - وقد وجب علينا العمل به - لا نعقد الاجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر ، وهذا باطل ، فاذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول باجماع السلف والصحابة أولى أن يدل على صدقه ، فانه لايمكن أحداً أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك ، فقد انتشرت انتشاراً لا تضبط أقوال جميعها .

قال : واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب . كما ذكر الشيخ أبو عمرو ، ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، فانما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق، فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فان الاعتبار في الاجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به ، دون غيرهم ، كما لم يعتبر على الاجماع في الأحكام الشرعية الا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعهم ، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم الى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم ، فضلا أن يتواتر

عندهم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله ، يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه ، مما لا شعور لغيرهم به البتة ، فخبر أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود ، ونحوهم ، يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ ، أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك .

وبالجملة فهم جازمون باكثر الأحاديث الصحيحة ، قاطعون بصحتها عنه وغيرهم لا علم عنده بذلك ، والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهو العقلاء . انتهى .

وقد أطال الناظم رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام ، وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ، ولكن تركناه اختصاراً ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله أعلم .

وقول الناظم :

وزعمت أن الله كلم عبده موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الأذنان غير الحرف والصوت الذي خصت به الاذنان

وكذا النداء فانه صوت باجماع النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونـــا جاه وفي ذا الزعم محذوران

قرب المكان وبعده والصوت بل نوعان محذوران ممتنعـــان

هذا إشارة الى الرد على القائلين بالكلام النفسي ، والمعنى المجرد .

قال شيخ الاسلام فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمـــه ربه) الأعراف : ١٤٣ (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) مريم : ٥٢ (فلما أتاها نودي ياموسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) طه : ١١-١١ الآيات ؛ دليل على تكليم يسمعه موسى ، والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ، ومن قال : إنـه يسمع فهو مكابر ، ودل الدليل على أنه ناداه ، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً ، فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقية ولا مجازاً . انتهى .

وقال الامام موفق الدين بن قدامـه في قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً (وكلمه ربه) وقال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) وقال تعالى : (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) أجمعنا على على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله ، لا من شجرة ، ولا من حجر ، ولا من غيره ، لأنـــه لو سمع من غير الله تعالى ، لكان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه ، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمـــع منه موسى ، لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام ، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة . ثم يقال لهم : لم سمي موسى كليم الله ، وإذا ثبت أن موسى عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل ، لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتا وحرفاً ، فانه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية ، لم يكن

ذلك تكليما لموسى ، ولا هو شيء يسمع ، والفكر لا يسمى مناداة ، فان قالوا : نحن لا نسميه صوتاً مع كونه مسموعاً . قلنا : هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لا يعنى بالصوت إلا ما كان مسموعاً ، ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار .

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم إياه إلهاماً . قال : وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياس على اصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم ، فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من « شرح البخاري » قوله ﷺ : «ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد» حمله بعض الأئمة على مجاز يأمر من ينادي ، فاستبعده بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله : « يسمعه من بعد » اشارة إلى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضاً لم يصعقوا . قال : فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ، ليس يشبه صوت غيره ، اذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين . قال : وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » انتهى .

ومن الاحاديث في إثبات الصوت ، ماروا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن أنيس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله العباد »

«الناس» وأومأ بيده الى الشام «حفاة عراة غرلاً بهماً» قال: ليس معهم شيء. قال: «فينادهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة» قلنا: كيف وإنما نأتي حفاة عراة غرلاً؟! قال: «بالحسنات والسيئات» أخرج أصله البخاري تعليقاً مستشهداً به إلى قوله: «أنا الملك، أنا الديان» وأخرجه الامام أحمد[1] وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بلغني أن للنبي ﷺ حديثاً في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً، فشددت عليه رحلاً، وسرت حتى وردت مصر، فمضيت إلى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه، فخرج الي مملوكه، فنظر في وجهي ولم يكلمني، فدخل الى سيده فقال: أعرابي فقال: سله من أنت؟ فقال جابر بن عبد الله الانصاري: فخرج الي مولاه، فلما تراءينا اعتنق أحدنا بصاحبه، فقال: ياجابر، ماجئت تعرف؟ فقلت حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص، ولا تظنن أن أحداً ممن مضى وممن بقي أحفظ له منك. قال: نعم ياجابر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلاً بهما، ثم ينادي بصوت رفيع غير

---

(١) اورده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ قريب مما أورده الشارح هنا عن عبد الله بن أنيس، وقال في آخره: رواه احمد باسناد حسن.

فطيع ، يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان ؛ لا تظالم اليوم ، أما وعزتي لايجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، أو يد على يد ، ألا وإن أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط . فلترتقب أمتي العذاب إذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال » . وقد رواه عبد الحق الاشبيلي من طريق الحارث بن ابي أسامة ، ومن « مسنده » نقله ، وخرجه علي بن معبد البغوي الملكي وغيره ، وفيه : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، ثم سرت اليه ، فسهرت شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري ، فأتيت منزله ، فارسلت اليه أن جابراً على الباب ، فرجع الرسول الي فقال : جابر بن عبد الله ؟ قلت : نعم ، فرجع اليه ، فخرج فاعتنقته . فقلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد » أو قال : « الناس » ... الحديث . وفي حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر[1] السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول[2] الحق ، فينادون الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري ؛ وأبوداود ، والترمذي ، وابن ماجة ، وكذا رواه الامام احمد ، وابنه عبد الله ، وقال : سألت أبي ، فقلت : ياأبي ، الجهمية يزعمون أن الله لايتكلم بصوت ، فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل .

---

(١) في الاصل : كحجر ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن ابي داود » .

(٢) في الاصل : يقول ، والتصحيح من « سنن ابي داود » .

وروى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . قال السجزي . وما في رواة هذا الخبر الا إمام مقبول ، وتتمة الخبر : فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال : سكن عن قلوبهم - قال أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق . قال : كذا و كذا . قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل هذا لايقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفاً لأنه إثبات صفة للذات . انتهى .

وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على اربعين حديثاً بعضها صحاح ، وبعضها حسان ، ويحتج بها ، أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره .

وأخرج الامام أحمد غالبها ، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضاً في « شرح البخاري » واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث ، على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الأصل ، واعتقدوه ، واعتمدوا على ذلك ، منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث . وسمات النقص ، كما قالوا في سائر الصفات ، فاذا رأينا أحداً من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء ، قد دونوا هذه الصفات ، وعملوا بها ، ودانوا الله سبحانه وتعالى بها ، وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت ، لايشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة ، معتمدين على ماصح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لاينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، مع اعتقادهم الجازم الذي لايعتريه شك ولا وهم ولا خيال ، نفي التشبيه والتمثيل ، والتحريف ، والتعطيل ، بل يقولون في صفة الكلام ، كما يقولون في سائر الصفات ، إثباتاً بلا تمثيل ،

وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما عليه سلف الأمة ، وفحول الأئمة ، فهو حق اليقين ، وما بعد الحق إلا الضلال .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وزعمت أن محمداً أسري به ليلاً إليه فهو منه دان

وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان

حتى يرى المختار حقاً قاعداً معه على العرش الرفيع الشان

وزعمت أن لعرشه أطّاً به كالرحل أط براكب عجلان

وزعمت أن الله أبدى بعضه للطور حتى عاد كالكثبان

لما تجلى يوم تكليم الرضى موسى الكليم مكلم الرحمن

وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين بل زعمت يدان

وزعمت ان يديه للسبع العلى والارض يوم الحشر قابضتان

وزعمت ان يمينه ملأى من الخيرات ما غاضت على الارمان

وزعمت ان العدل في الاخرى بها رفع وخفض وهو بالميزان

وزعمت ان الخلق طراً عنده يهتز فوق اصابع الرحمن

وزعمت ايضاً ان قلب العبد ما بين اثنتين من الاصابع عان

وزعمت ان الله يضحك عندما يتقابل الصفان يقتتلان

من عبده يأتي فيبدي نحره لعدوه طلباً لنيل جنان

وكذاك يضحك عندما يثب الفتى من فرشه لتلاوة القرآن

وكذاك يضحك من قنوط عباده إذ أجدبوا والغيث منهم دان

وزعمت ان الله يرضى عن أولي الحسنى ويغضب من أولي العصياني

وزعمت ان الله يسمع صوته يوم المعاد بعيدهم والداني

لما يناديهم انا الديان لا ظلم لدي فيسمع الثقلان

وزعمت ان الله يشرق نوره في الارض يوم الفصل والميزان

وزعمت ان الله يكشف ساقه فيخر ذاك الجمع للأذقان

وزعمت ان الله يبسط كفه لمسيئنا ليتوب من عصيان

وزعمت ان يمينه تطوي السما طي السجل على كتاب بيان

وزعمت أن الله ينزل في الدجى في ثلث ليل آخر أو ثان

فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني

وزعمت أن له نزولاً ثانياً يوم القيامة للقضاء الثاني

وزعمت أن الله يبدو جهرة لعباده حتى يرى بعيان

بل يسمعون كلامه ويرونه فالمقلتان اليه ناظرتان

وزعمت أن لربنا قدماً وأن الله واضعها على النيران

فهناك يدنو بعضها من بعضها وتقول قط قط حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم كل يحاضر ربه ويداني

بالحاء مع ضاد وجامع صادها وجهان في ذا اللفظ محفوظان

في الترمذي ومسند وسواهما من كتب تجسيم بلا كتمان

ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار وذانك الأصلان

أصل التفرق بين هذا الخلق في الـ ـباري فكن في النفي غير جبان

أولا فلا تلعب بدينك ناقضاً نفياً باثبات[1] بلا فرقان

فالناس بين معطل أو مثبت أو ثالث متناقض صنعان

والله لست برابع لهم بلى إما حماراً أو من الثيران

فاسمح بانكار الجميع ولا تكن متناقضاً رجل له وجهان

أولا ففرق بين ما أثبتّه ونفيته بالنص والبرهان

فالباب باب واحد في النفي والـ ـإثبات في عقل وفي ميزان

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع أو ائت بالفرقان

ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله فمجسم متناقض ديصان

فذروا المراء وصرحوا بمذاهب الـ ـقدماء وانسلخوا من الايمان

قول الناظم رحمه الله تعالى : وزعمت أن محمداً أسري به الخ . تقدم الكلام في الاسراء بما يغني عن الاعادة .

قوله : وزعمت أن محمداً يوم اللقا . يدنيه رب العرش بالرضوان الخ

---

(١) في الاصل : وإثبات ، والصواب ما اثبتناه .

ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب «العلو» قال: أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن بن المبارك : أنبانا عبد الله بن أحمد الفقيه ، أنبأ ابن البطي ، أنبأ ابن خيرون . أنبأنا أبو علي ابن شاذان ، أنبأنا أبو سهل القطان ، ثنا عبد الكريم الديرعاقولي ، ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا : أنبأنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء : ٧٩ قال: يجلسه أو يقعده على العرش ، لهذا القول طرق خمسة . وأخرجه ابن جرير في تفسيره ، وعمل فيه المروذي مصنفاً ، ثم قال الذهبي بعد ذلك : فأما قضية قعود نبينا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نص ، بل في الباب حديث واه ، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه ، فقد انكره بعض أهل الكلام . فقام المروذي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك ، وجمع فيه كتاباً ، وطرق قول مجاهد ، منه رواية ليث ابن أبي سليم ، وعطاء ابن السائب ، وأبي يحيى القتات ، وجابر بن يزيد ، فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الاثر يسلم ولا يعارض . أبو داود السجستاني صاحب « السنن » وابراهيم الحربي ، وخلق ، بحيث أن ابن الامام أحمد قال عقيب قول مجاهد : أنا منكر على كل من رد هذا الحديث ، وهو عندي رجل سوء متهم ، سمعته من جماعة ، ومارأيت محدثاً ينكره . وعندنا إنما تنكره الجهمية . وقد حدثنا هارون ابن معروف ، ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث عن مجاهد في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء : ٧٩ قال : يقعده على العرش ، فحدثت به أبي رحمه الله . فقال : لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل ، بحيث أن المروذي روى حكاية ينزل عن ابراهيم بن عرفة : سمعت ابن عمير يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا قد تلقته العلماء بالقبول . وقال المروذي : قال أبوداود السجستاني . ثنا ابن ابي صفوان الثقفي ،

ثنا يحي ابن كثير ، ثنا سالم بن جعفر وكان ثقة ، ثنا الجريري ، ثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جيىء بنبيكم ﷺ ، حتى يجلس بين يدي الله عز وجل على كرسيه ... الحديث

وقد رواه ابن جرير في تفسيره ، أعني قول مجاهد ، ثم قال ابن جرير ، ليس في فرق الاســـلام من ينكر هذا لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره ، وكذلك أخرجه النقاش في تفسيره . وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من انكره . انتهى .

قوله : وزعمت أن لعرشه أطاً به الخ ... عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، نهكت الأنفس ، وجاع العال ، وهلكت الأموال . فاستسق ربك ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال : ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأنه أعظم من ذلك ، انه لايستشفع به على أحد ، انه لفوق سمواته على عرشه ، وإنه عليه لهكذا » وأشار وهب بيده مثل القبة عليه . وأشار ابن الازهر أيضاً « وإنه ليئط به أطيط الرحـــل بالراكب »[1] أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد عن وهب ، ولفظه : إن عرشه على سمواته ، يساقه الذهبي في كتاب «العلو» من عدة طرق ، من طريق ابن اسحق ، ثم قال : هذا حديث غريب جداً فرد ، وابن اسحق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم ، هل قال ﷺ هذا أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ،

---

(١) هذا الحديث رواه محمد بن إسحاق معنعناً ، فهو ضعيف لتدليسه ، ولا يصح في اطيط العرش حديث .

ولا اله غيره . والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الأحاديث إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فاما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فانا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب . انتهى كلامه

قـــوله : وزعمت أن الله أبدى بعضه الخ ... روى الترمـــذي في « جامعه » عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) الاعراف : ١٤٣ قـــال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبـل ، وخر موسى صعقاً . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، لانعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وروى ابن أبي عـاصم في كتاب « السنة » عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ماتجلى منه إلا مثل الخنصر . قال : فجعله دكاً . قال : تراباً (وخـر موسى صعقاً) غشي عليـه ،(فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك) عن أن أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنـــين) قال : أول من آمن بك من بني إسرائيل . ورواه الطبراني أيضاً . ورواه البيهقي في كتاب إثبات الرؤية له : اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن اسحق ، يعني العـدناني ، ثنا عمرو ابن طلحة في التفسير ، ثنا اسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعله دكاً .

قوله : وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين الخ... يأتي الكلام في الوجه

واليدين ان شاء الله تعالى[١]

قوله : وزعمت أن يديه للسبع العلى الخ...روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله عن نافع ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : «ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك » . وفي « الصحيحين » أيضاً ، واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بيـــده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟»

قوله: وزعمت أن يمينه ملأى الخ ... يشير الى قوله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم مـــا أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض مافي يمينه ، وفي يده الأخرى العدل ، يخفض بها ويرفع ».قوله : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ ...يشير الى قوله ﷺ (« يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد »)[٢].

قوله : وزعمت أيضاً أن قلب العبد مـا الخ .... عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

---

(١) في الاصل بياض هنا ، ولعله أراد ان يقول : يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى في بابه .

(٢) في الاصل بياض هنا ، واثبتنا هذا الحديث الذي رواه البخاري بين القوسين ، لانه هو الذي يشير الى قول المصنف : وزعمت ان الله يضحك عندمـــا الخ .

قوله: وكذاك يضحك من قنوط عباده الخ. يشير الى ما في حديث أبي رزين عن النبي ﷺ قال: « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، ينظر اليكم أذلين قنطين، ويظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب ». فقال له أبو رزين: أو يضحك الرب؟ قال: نعم. فقال: لن نعدم من رب يضحك خيراً.

قوله: وزعمت أن الله يبسط كفه الخ ... يشير الى حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم، (وقوله في الحديث المتفق على صحته « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله الا الطيب، تقبلها بيمينه » وقوله: « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم »)[1].

قال الخلال في كتاب « السنة » قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله يرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث. فقال أبو عبد الله: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف، ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق اذا كانت باسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى باكثر مما وصف به نفسه، بلا حد، ولا غاية، ليس كمثله شيء. وقال حنبل في موضع آخر، وقال: ليس كمثله شيء في ذاته، كما وصف به نفسه. وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة

---

(١) كان في الاصل هنا بياض، فاخترنا هذه الزيادة التي بين القوسين تتميماً للفائدة.

لنفسه ، فحد لنفسه صفة ، ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ، ولا معلومة ، إلا بما وصف الله نفسه به . قال الله تبارك وتعالى : (وهو السميع البصير) الشورى : ١١ وقال حنبل في موضع آخر : وهو سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغة صفة الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ووصف وصف به نفسه من كلام ، وخلوه بعبده ، ووضعه كنفه عليه ؛ هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا بدعة ، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكلما غفوراً عالماً ، عالم الغيب والشهادة ، علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه ، لا ترد ولا تدفع ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٧ كيف شاء ، المشيئة اليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه ، سميع بصير بلا حد ، ولا تقدير ، قول ابراهيم لابيه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم : ٤٢ فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن والحديث والخبر ، يضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وتثبيت القرآن ، لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة . قلت له : والمشبهة ما يقولون ؟ قال : من قال بصر كبصري ، ويد كيدي . انتهى .

قوله : فالناس بين معطل أو مثبت الخ ... المعطلة ، كالجهمية ، والمعتزلة ، والمثبتة ، يعني السلف وأتباعهم . والثالث المتناقض ، كالذين

يثبتون بعض الصفات ، وينفون بعضها ، ولهذا قال الناظم : فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع ؛ أي : لأنه يلزمكم إذا أثبتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها ، وإلا فانفوها جميعها ، اذ ليس بأيديكم فرق صحيح ، وسيأتي إبطال ما فرقوا به في كلام الناظم رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وقوله : ديصان . قال الناظم في « إغاثة اللهفان » وحكى أرباب المقالات عنهم ، أي عن الثنوية أن قوماً منهم يقال لهم : الديصانية ، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة[1] ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم ـ زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه ، فتوحل فيها[2] واختلط بها ، فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور ، فما كان من جهة الصلاح ، فمن النور ، وما كان من جهة الفساد ، فمن الظلمة . قال : وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك ، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . انتهى .

وقوله : القدماء ، يعني الفلاسفة .

اوقاتلوا مع ايمة[3] التجسيم والتشـــبيه تحت لواء ذي القرآن

أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان

فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه ببيان

والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو شبيه أتان

فاصنع من التنزيه ترساً محكما وانف الجميع بصنعة وبيان

وكذاك لقب مذهب الاثبات بالتجسيم ثم احمل على الأقران

---

(١) في الاصل حسنة .
(٢) في الاصل فتحول عنها .
(٣) أي مع أئمة ، وحذفت الهمزتان لضرورة الوزن .

فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملوا عليك بجملة الفرسان

فصرعت صرعة من غدا متلبطاً وسط العرين ممزق اللحمان

فلذاك انكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن

ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا في سالف الازمان

ولنا ملوك قاوموا الرسل الألى جاؤوا باثبات الصفات كمان

في آل فرعون وقارون وها مان ونمروذ وجنكسخان

قوله : جنكسخان . ويقال . جنكزخان ، هو طاغية التتار ، وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين ، فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩)[1] واستولى على بخارى وسمرقند ١٩ سنة ، واستولى على مدن خراسان ١٧ سنة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند ، ووصل الى مدينة سكب من بلاد الخطا ، فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان ٦٢٤ فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجي ؛ ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الاولاد ستة ، وفوض الامر الى أركناي أحدهم بعد ما استشار الخمسة الباقين ، فلما مات امتنع أركناي من الملك ، وقال : في اخواني وأعمامي من هو اكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم ، ولقبوه

---

(١) في الاصل «٩٩٠» وهو خطأ ، والتصحيح من « البداية والنهاية » لابن كثير .

القان الأعظم ، ومعناه : الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات ، وطالت أيامه ، وولي بعده الامر موتكوقا ، وهو القان الذي هو لاكو من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر الى ٧٤٠ ومات بمدينة خان بالق ، يقال : إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ، ويقتلهم ، ويسبي ذراريهم وأولادهم ، ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم ، اجتمع[١] التتار ، وشكوا مايلاقون[٢] من خوارزم شاه ، وما هم فيه من الضيق والبلاء . فقال لهم جنكز خان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع الذي أضعه لكم شرعة ، رددت خوارزم عنكم ، فالتزموا له بذلك ، وكان مما وضعه لهم أن قال : كل من أحب أمرأة بنتاً كانت أوغيرها ، لايمنع من التزوج ، ولو كان زبالاً ، والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة[٣] ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنته عشرين سنة ؛ فما جاءت العشرين سنة إلا وهم أمم لا يحصون ، ولايحصرون . وكان من جملة ماقرره أنه إذا حرم القان على احد شيئاً ، فلا يحل له إلى أن تأتيه الممات ، وقرر لهم أن (من) رعف وهو يأكل قتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمه أنهم يداخلهم الحسد له ، ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سماطه ، فرعف فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر ، وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً ، وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتم حكم

---

(١) في الاصل اجتمعوا . (٢) في الاصل : يلاقوا ،
(٣) في الاصل شديد .

أليسق في ، وقد رعفت ، وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك . فقال : لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقدوجب قتلكم ، فقتل أكابرهم ، واستراح منهم ، والترك يزعمون أنه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب الغاب ، لا يقربه أحد من الذكران ، وأن أمه أعتقت فرجها ، وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة . وأتتهم وقالت : هذا من الشمس ، لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملت بهذا . ويقال : إنه كان حداداً ، والله اعلم ، كذا في « تاريخ ابن شاكر »

قوله : أتان بفتح الهمزة ، هي الأنثى من الحمير . قال ابن السكيت : ولا يقال أتانة ، وجمع القلة أتن ، مثل عنق وأعنق ، وجمع الكثرة . إتن بضمتين .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

ولنا الأئمه كالفلاسفة الألى ... لم يعبؤوا أصلاً بذي الاديان

منهم أرسطو ثم شيعته إلى ... هذا الاوان وعند كل أوان

ما فيهم من قال إن الله فو ... ق العرش خارج هذه الاكوان

كلا ولا قالوا بأن إلهنا ... متكلم بالوحي والقرآن

ولأجل هذا رد فرعون على ... موسى ولم يقدر على الايمان

إذ قال موسى ربنا متكلم ... فوق السماء وأنه ناداني

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهان

وكذلك الطوسي لما أن غدا ذا قدرة لم يخش من سلطان

قتل الخليفه والقضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان

إذ هم مشبهة مجسمة وما دانو ابدين أكابر اليونان

ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل والتشبيه آل سنان

ولنا تصانيف بها غاليتم مثل «الشفا» و«رسائل الاخوان»

وكذا الاشارات التي هي عندكم قد ضمنت لقواطع البرهان

قد صرحت بالضد مما جاء في التوراة والانجيل والفرقان

هي عندكم مثل النصوص وفوقها في حجة قطعية وبيان

واذا تحاكمنا فان إليهم يقع التحاكم لا إلى القرآن

إذ قد تساعدنا بأن نصوصه لفظية عزلت عن الايقان

فلذاك حكّمنا عليه وأنتم قول المعلم أولاً والثاني

ياويح جهم وابن درهم والألى قالوا بقولهما من الخوران

بقيت من التشبيه فيه بقية نقضت قواعده من الأركان

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا يعلوي على خبر ولا قرآن

ويقول إن الله يسمع أو يرى وكذاك يعلم سر كل جنان

ويقول إن الله قد شاء الذي هو كائن من هذه الأكوان

ويقول إن الفعل مقدور له والكون ينسبه الى الحدثان

وبنفيه التجسيم يصرخ في الورى والله ما هذان متفقان

لكننا قلنا محال كل ذا حذراً من التشبيه والامكان

أما ابن سينا ، فهو على مافي « تاريخ ابن خلكان » وغيره . أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري ، والده من بلخ وسكن بخارى أيام الأمير نوح ، ثم تزوج امرأة بقرية (أفشنة) وبها ولد أبو علي المذكور الملقب بالرئيس ، وختم القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي ، وحل إقليدس ، والمجسطي ، والطب وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ثم انتقل من بخارى الى جرجان وغيرها ، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة ابن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن شكمير ، ثم قصد علاء الدولة ابن كاكويه بأصبهان ، وتقدم عنده ثم مرض بالصرع ، والقولنج ، وترك الحمية ، ومضى الى همذان مريضاً ومات بها سنة ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرين ، وعمره إحدى وخمسون سنة[1] . قال ابن خلكان : ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية على ماقيل ، ترك المداواة ، واغتسل ، وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ، مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان وقيل : مات في السجن ، وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين ، والله أعلم . وله نحو مائة مصنف ، منها كتاب « الشفاء » في الحكمة « والاشارات » ، وفي الطب « القانون » وغيره ، وله شعر ، ومنه القصيدة الشهيرة في الروح ، وهي :

---

(١) في الاصل : ومات سنة اربعمائة وثمان وثلاثين سنة ، وعمره ثمان وخمسون سنة وهو خطأ ، والتصحيح من « الاعلام » و « وفيات الأعيان » .

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأما النصير الطوسي . فهو محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي ، صاحب «الرياضي» ، «والرصد» ، كان رأساً في علم الأوائل ، لاسيما في الأرصاد ، والمجسطي ، فانه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي ، وغيره ، وكان ذا حرمة وافرة ، ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى بـ(مراغة) قبة ، ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد ، والشام ، والجزيرة ، حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد ، وقرر بالرصد المنجمين ، والفلاسفة ، والعقلاء ، وجعل له أوقافاً ، وكان حسن الصورة ، سمحاً كريماً ، جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضائل ، واختصر « المحصل » للامام فخر الدين ، وهذبه ، وزاد فيه ، وشرح « الاشارات » ورد على الامام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح ، وما هو بشرح . وقال فيه : حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً . ومن تصانيفه « التجريد » في المنطق و« أوصاف الأشراف » و « قواعد العقائد » و « التلخيص » في علم الكلام «وشرح كتاب ثمرة » بطليموس[1] » ، وكتاب « المجسطي » و«شرح مسألة العلم »و « رسالة الامامه » و « رسالة » الى نجم الدين الكاتبي في إثبات الواجب وحواشي على كليات « القانون » وغير ذلك . وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلي ، ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وغيرهما ، وكان منجماً لائقاً[2] بعد أبيه

---

(١) في الاصل : « وشرح الهمزة ليطليموس» ، والتصحيح من كتاب «الاعلام».
(٢) هذه الكلمة لم تكن واضحة في الاصل .

وكان يعمل الوزارة لهولاكو ، من غير أن يدخل يده في الأمـــوال ، واحتوى على عقله ، حتى إنه لايركب ولايسافر إلا في وقت يأمره بـه ، ومولد النصير بطوس٥٩٧سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٣ اثنتين وسبعين وستمائة ببغـداد ، ودفن في مشهدالكاظم . انتهى ملخصاً من « تاريخ ابن شاكر»

قلت : ذكر شيخ الاسـلام ابن تيمية في « منهاج السنة النبوية » في الرد على ابن المطهر الرافضي لما ذكر قوله ، قال شيخنا الأعظم خواجة نصر الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، الى آخر ماذكر ابن المطهر . فقال الشيخ في الجواب :

الجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا الامامي قد كفر من قال : إن الله موجب بالذات ، كما تقدم من قوله ، يلزم أن يكون موجباً بذاته لا مختاراً، فيلزم الكفر ، وهذا الذي جعله شيخه الاعظم ، واحتج بقوله،هو ممن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب « شرح الاشارات » له ، فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافراً ، والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين .

الثاني : أن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الاسماعيلية بالألموت ، ثم لما قدم التركُ المشركون الى بلاد المسلمين ، وجاؤوا الى بغداد دار الخلافة ، كان هـــذا منجماً مشيراً لملك التركُ المشركين هولاكو.أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العـــلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وانه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ماشاء الله لعلماء

المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة وأمثالهم ، وانه لما بنى الرصد الذي بـ(مراغة) على طريقة الصابئة كان أخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعد عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ، ومثل المعطلة، وسائر المشركين ،وان ارتزقوا[1] بالنجوم والطب ونحو ذلك، ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الاســـلام ومحرماته ، لايحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولايزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى إنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات ، والفواحش ، وشرب الخمور ، مايعرفه أهل الخبرة بهم ، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى، ولهذا كلما قوي الاسلام في المغول[2] وغيرهم من الترك، ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للاسلام وأهله ، ولهذا كانوا من أنقص الناس منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغول غازان الى الاسلام ، والتزم له ان ينصره اذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا من النجشية السحرة وغيرهم ، وهدم البدخانان ، وكسر الأصنام ، ومزق سدنتها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر الاسلام في المغول وأتباعهم .

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الاسلام والمسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ، ويوصف ، ومع هذا فقد قيل : إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشتغل بتفسير البغوي ، وبالفقه ، ونحو ذلك فان كان قد تاب من الالحاد ، ، فالله يقبل التوبـــة عن عباده ويعفو عن السيئات ، والله يقول : (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣ لكن ماذكره

---

(١) في الاصل : ارتزقوم .

(٢) في الاصل : المغل .

عنه هذا ان كان قبل التوبة ، لم يقبل قوله ، وان كان بعد التوبة ، لم يكن قد تاب من باب الرفض ، بل من الالحاد وحده . وعلى التقديرين ، فلا يقبل قوله ، والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين ، والالحاد معروف من حاله إذ ذاك ، انتهى كلام شيخ الاسلام .

وقول الناظم : آل سنان . هو سنان البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة . واما « الشفاء » فهو من مصنفات ابن سينا ، وكذا «الاشارات» ، من تصانيفه أيضاً . وقوله : و« رسائل الاخوان » هي « رسائل إخوان الصفا » وهي على مافي « كشف الظنون » و « شرح عقيدة السفاريني » إحدى وخمسون رسالة ، وهي أصل مذهب القرامطة ، وربما نسبوها الى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجاً . وقدصنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه ، أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهر جوري ، والعرفي يزيد بن رفاعة ، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجه عن مسلك الشريعة المطهرة ، وفي « فتاوى ابن حجر الحديثية » مانصه : نسبها كثيرالى جعفر الصادق ، وهو باطل ، وانما الصواب أن مؤلفهامسلمة بن قاسم الأندلسي ، كان جامعاً لعلوم الحكمة ، من الالهيات ، والطبيعيات ، والهندسة ، والتنجيم ، وعلوم الكيمياء وغيرها ، وإليه انتهى علم الحكمة بالأندلس ، وعنه اخذ حكماؤها . وتوفي سنة ٣٥٣ وممن ذكره ابن بشكوال ، وكتابه فيه أشياء حكمية ، وفلسفية ، وشرعية انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المنهاج » : حتى إن طائفة من الناس يظنون أن « رسائل إخوان الصفا » مأخوذة عن جعفر الصادق ، وهذا من الكذب المعلوم ، فان جعفراً توفي سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة ، وضعت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية ، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة وفي تلك الأوقـــات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فأظهروا اتبـاع الشريعة ، وأن لها باطناً مخالفاً لظاهرها ، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة ؛ وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل ؛ وضعها طائفة من المتفلسفة ؛ معروفون ؛ وقد ذكروا في أثنائها مااستولى عليـه النصارى من أرض الشام ؛ وكان أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة ٣٠٠ من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة انتهى كلامه . قال الناظم :

فلذاك حكمنا عليه وأنتم ... قول المعلم أولاً والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس ؛ والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي : وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي ، صاحب المصنفات المشهورة في المنطق والحكمة ؛ ، الموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله . مات سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله نحو من ٨٠ سنة .

قوله :

ياويح جهم وابن درهم والألى ... قالوا بقولهما من الخوران

هذا على سبيل التهكم ، وإلزام جهم والجعد بن درهم التناقض ؛ أي : إن الجهم يقول : إن الله يسمع ، ويرى ، ويعلم ، ويثبت المشيئة والعلم لله ، ومع ذلك ينفي التجسيم ؛ أي : فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات ، وهذا من الخور ، أي الضعف .

قوله : ياويح . ويح : كلمة ترحم وتوجع ، تقال لمن وقع في هلكة لايستحقها . قال في « القاموس » : ويح لزيد ، وويحاً له : كلمة رحمة ، ورفعه على الابتداء، ونصبه باضمار فعل ، وويح زيد وياويحه بنصبهما أيضاً ، وويحا زيد بمعناه ، وأصله وي ،فوصلت بحاء مرة وبلام مرة . انتهى .

قال شيخ الاسلام في كتابه « التسعينية »: وكذلك الجهمية على ثلاث درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ، ولاعالم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولايكلم ، ولا يتكلم ، وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم ، كما ذكره الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهميه ، قال : فعند ذلك تبين للناس أنهم لايثبتون شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية . فاذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر هذا الخلق . فقلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً انما تدفعون عن انفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى؟ قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية . واذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم إلى ضلال وكفر . قال : وقال ابو الحسن الأشعري في « المقالات » الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعمى العمين ، وحيرة المتحيرين ، الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا ان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لاصفات له ، ولاعلم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ،

ولاسمع له ، ولا بصر له ، ولا عزة له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له . وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه . قال : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ، ولاقادر ، ولاحي ؛ ولاسميع ، ولا بصير ، ولا قدير ، وعبروا عنه بأن قالوا : نقول عين لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه ، فنفوا أن يكون للباري ، علم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن الخوف يمنعهم من اظهار ذلك . قال وقد أفصح بذلك رجل يعرف بـ (ابن الايادي) كان ينتحل قولهم ، فزعم أن الباري ، عالم ، قادر ، سميع ، بصير في المجاز لافي الحقيقة ، وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة ، هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم ، هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لايقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة ، فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ، إلى آخر ماذكره رحمه الله تعالى . وقد تقدم ماذكره شيخ الاسلام في موضع آخر . والجهم هو

اعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللاسماء الحسنى .

قوله : من جنس قول الباطنية القرامطة . حتى ذكروا عنه أنه لايسمي الله شيئاً ، ولاغير ذلك من الاسماء التي يسمى بها المخلوق ، لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية ، وحكي عنه أنه لايسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ، إذ كان هو رأس المجبرة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

قال الناظم :

فصل

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا ... قد جئتكم من مطلع الايمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد ... بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الإله فدلني ... الهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله ... وصريح عقلي فاعتلى ببيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة ... الرحمن والمعقول في ايمان

شهدوا بأن الله جل جلاله ... متفرد بالملك والسلطان

وهو الاله الحق لامعبود إلا ... وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل ... من عرشه حتى الحضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر مادار حتى قامت القطبان

ومداره بالامر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالاخلاص والاحسان إنهاله أصلان

لم ينج من غضب الاله وناره الا الذي قامت به الأصلان

ينج بفتح الياء وضم الجيم ، مبني للفاعل ؛ أي : لم ينج من غضب الاله وناره الا الذي قام به الاخلاص والاحسان .

والناس بعد فشركٍ بآلهه أوذو ابتداع أوله الوصفان

والله لايرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الايمان

يشير الى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) الملك : ٢ قال: أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ماأخلصه وأصوبه فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموا عن الاحسان

وكذاك قد شهدوا بأن الله ذو سمع وذو بصر هما صفتان

وهو العلي يرى ويسمع خلقه من فوق عرش فوق ست ثمان

فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ... ويرى كذاك تقلب الاجفان

وضجيج أصوات العباد بسمعه ... ولديه لاتتشابه الصوتان

وهو العليم بما يوسوس عبده ... في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع الـ ... ـقاصي وذو الاسرار والاعلان

وهو العليم بما يكون غداً وما ... قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون موجوداً لذي الاعيان

وهو القدير فكل شيء فهو مقدور له طوعاً بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه ... هو خالق الأفعال للحيوان

هي خلقه حقاً وأفعال لهم ... حقاً ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب بالـ ... ـأقدار ما انفتحت لهم عينان

نظروا بعيني أعور اذ فاتهم ... نظر البصير وغارت العينان

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الامام شفا القلوب بلفظة ... ذات اختصار وهي ذات بيان

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى إثبات صفات الله تعالى التي نطق بها كتابه ، وسنة رسوله ﷺ . ومذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات صفات الله

تعالى التي ورد بها الكتاب ؛ وصحيح السنة وحسنها ؛ إثباتاً بلا تمثيل ؛ وتنزيها بلا تعطيل ؛ خلافاً للجهمية ، والمعتزلة ، والاشاعرة ، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله تشبيهاً . انتهى . بل هو إثبات على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

قوله : وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون الخ . وذلك نحو خبر الله عن أهل النار أنهم (لو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه) الانعام : ٢٨ وأنه (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الأنفال : ٢٣ وأنه (لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا) الأنبياء : ٢٢ وأنه (لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) الاسراء : ٤٢ وأنه (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) التوبة : ٤٧ وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً) النور : ٢١ ونحو ذلك . وقد تقدمت الاشارة الى اثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى ، وكذلك تقدم الكلام في خلق أفعال العباد .

وأما الكلام في القدر ، فهو طويل ، ولكن نشير إلى ذلك اشارة ، فنقول : قول الناظم رحمه الله : لكن أهل الجبر والتكذيب بالاقدار الخ ... أي : إن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على أفعالهم من الطاعات والمعاصي ، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهواء للاشجار ، وبمنزلة حركة المرتعش ، وقابلهم النفاة للقدر ، وهم الذين جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى .

وقد روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،

عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . فقال : إذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برآء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام . قال رسول الله ﷺ : « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » قال : صدقت ، فعجبناله ، يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الايمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » . قال فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرني عن أماراتها . قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : فانطلق ، فلبثت ثلاثاً . وفي رواية مسلم : ملياً ، ثم قال : « يا عمر ، أتدري من

السائل ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فقال : يابني ، إنك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت ياأبتاه ، كيف أعلم ما خير القدر وشره؟قال : أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » ، يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى ، واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢

وقد قال الامام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ، قال : القدر قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، كما ذكره الناظم . والمعنى أنه لايمنع عن قدرة الله شيء ، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل .

وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا .

وفي المسند » و « سنن ابي داود » عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله

ابن فيروز ، قال : لو أن الله عذب اهل سمواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من اعمالهم ، ولوأنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وماأخطأك لم يكن ليصيبك ، ولومت على غير هـذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان ، فقـال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت . قال : فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك ، وأخرجه ابن ماجـه . وقال العماد ابن كثير رحمه الله عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش عن رجل ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله الا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن ربعي ، عن علي ، فذكره .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانىء الخولاني ، عن أبي عبد الرحمن الجـلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » زاد ابن وهب : «وكان عرشه على الماء » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن غريب .

وكل هذه الاحاديث ، وما في معناها ، فيها الوعيد الشديد على عدم الايمان بالقدر ، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهـذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر ،

وأعظم المعاصي . وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذهبهم ، هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار ، والله اعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وله الحياة كما لها فلأجل ذا ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيوم من أوصافه ماللمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال والـ أسماء حقاً ذانك الوصفان

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آيه الكرسي وذي عمران

اسم الاله الأعظم اشتملا على اسم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها الى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشان

أي : ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً ذانك الوصفان ، وهما الحي القيوم .

وقوله : ولأجل ذا جاء الحديث الخ ... أي : جاء الحديث بأن الحي القيوم ، هما اسما الله الأعظم . يشير إلى ماروواه ابو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذي وصححه ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله

عنها ، أن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وفاتحة سورة آل عمران (آلم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

واخرج الامام أحمد، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت وهو يصلي ، وهو يقول : اللهم إني اسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت ، ياحنان يا منان ، يا بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله ﷺ : لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى ». رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وزاد هؤلاء الاربعة[1]: «ياحي ، يا قيوم »-وقال الحاكم :صحيح على شرط مسلم،وزاد الحاكم في رواية له- «أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار».

وفي « جلاء الأفهام » للناظم قال : وفي « مسند أبي يعلى » الموصلي عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم ، فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم : يا بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام . انتهى .

وله الارادة والكراهة والرضى ... وله المحبة وهو ذو الاحسان

وله الكمال المطلق العاري عن التشبيه والتمثيل بالانسان

وكمال من أعطى الكمال بنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان

أيكون قد أعطى الكمال وماله ... ذاك الكمال أذاك ذو إمكان

أيكون إنسان سميعاً مبصراً ... متكلماً بمشيئة وبيان

---

(١) اي ابو داود،والنسائي وابن حبان ،والحاكم .

وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلّي والأعيان

والله قد أعطاه ذاك وليس هـذا وصفه فاعجب من البهتان

بخلاف نوم العبد ثم جماعه والأكل منه وحاجة الأبدان

إذ تلك ملزومات كون العبد محـ تاجا وتلك لوازم النقصان

وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان

يتقدس الرحمن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جثمان

قوله : وله الكمال المطلق الخ ... اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمول تستوي أفراده ، فان الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كلية تستوي أفرادها ، ولهـذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الالهية ، لم يصلوا بها الى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً ، كما قال تعالى : (ولله المثل الأعلى) النحل : ٦٠ مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للمكن أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وهو ما كان كمالاً للموجود ، غير مستلزم للعدم ، فالواجب القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر ، فانما استفاده من خالقه وربه ومدبره، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه ـ